من نفحات العيد

خطبة الجمعة للدكتور محمود أبو الهدى الحسيني في الجامع الأموي الكبير بحلب بتاريخ ٢٠٠٧/١٢/٢١م

يعيش العالم الإسلامي في هذه الأيام كما نعيش أيام التشريق، وأيام التشريق ثلاثة، فعيدنا يبدأ كما بيّن الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم بيوم عرفة، ثم بيوم النحر، ثم بعد ذلك تأتي أيام التشريق الثلاثة، فيبدأ التكبير لله تبارك وتعالى على كوكبنا الأرضي كلِّه من فجر يوم عرفة، وتعلو أصوات التكبير، وتجلجل في الفضاء، وتُعظِّم الله سبحانه ولا تُعظِّم غيره.

ونحن في أيام التشريق، بل وفي أوسط أيام التشريق، وأيامُ التشريق هذه هي الأيام المعدودات التي ذُكرت في سورة البقرة بقوله تبارك وتعالى: { وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ } [البقرة: ٢٠٣] والأيام المعدودات هذه هي باتفاق العلماء أيامُ التشريق الثلاثة التي نحن فيها.

وفي القرآن الكريم ذُكرت: { أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ } ، وذُكرت { أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ } .

أما **الأيام المعلومات** فهي أيام العشر الأول من ذي الحجة، وأما **الأيام المعدودات** فهي أيام التشريق الثلاثة هذه.

وحينما ننتقل من المعلومات إلى المعدودات فإن ذلك يعني أننا ننتقل من العِلْم إلى الثواب، فقد انتقل المسلم المؤمن من الجهل إلى العلْم، ثم انتقل من العِلْم إلى ثوابٍ معدود في أيام معدودات.

فهي أيامٌ جليلةٌ عظيمة، من أجل الأيام التي يُتقرّب فيها إلى الله تبارك وتعالى، وكم نُكبِّر الله تبارك وتعالى بعد كل صلاة؟!

وهذا في الشرق وفي الغرب وفي الشمال وفي الجنوب، في عالمنا الإنسانيّ والبشريّ الإسلاميّ.

وبعد ذلك فإن أيام التشريق فيها رمزيةٌ كبيرة إلى جانبٍ ماديٍّ ربما نغفُل عنه، وهو التدبير الاقتصاديّ الذي من خلاله يكون الإعداد لأمنٍ غذائيّ.

نعم.. فما سُمّيت هذه الأيامُ أيامَ التشريق إلا لأنهم كانوا يُشرِّقون فيها اللحم، ويُقدِّدونه ليكون مُدَّخَرًا في العام.

إذًا، فهو يعني أن التدبير الاقتصاديَّ كان حاضرًا في هذه الأيام.

اليومُ الثاني من أيام التشريق – أي في مثل هذا اليوم تمامًا - كان يُطلق عليه اسم يوم الرؤوس، لأن من كان في الحجِّ وقتَها كان يأكل رؤوس الأضاحي، لماذا؟

لأن الرؤوس لم تكن تُدَّخَر، أما اللحم فإنه كان يُدَّخَر ويُشَرَّق، أي يُعرَّض للشمس حتى يُقدَّد ويكون صالحًا للادِّخار.

نعم.. فبعد ذِكر الله تبارك وتعالى تأتي القيمة المادّية، لأننا أمة تجمع بين الروح والجسد، ولأننا أمة تجمع بين الدنيا والدين، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر في الحديث فقال: **(أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَذِكْرٍ)**.

انظروا، حينما يُجمع في النصِّ النبويِّ الطعامُ والشرابُ مع ذِكر الله، حينما يُجمع غذاءُ الروح مع غذاء الجسد، فإنه يعني توجيهًا إلى هذه الأمة يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم: إذا أردتم بناءً حضاريًّا، وإذا أردتم جسدًا متماسكًا.. فلا يمكن لكم أن تحصِّلوا ذلك إلا حينما تعتنون بغذاء العقل والقلب والروح وغذاء البدن.

أي: حينما نعتني بالجانب المادّيِّ فنُحسن إتقانه، وحينما تكون المادة خاضعة للدراسة، وخاضعة للتأمُّل، ثم تُطبَّق في أحسن تطبيق.

لقد كنا في العصور الذهبية، في وقت حضارتنا الإسلامية، نسود العالم في المادة وفي العِلْم، أما اليوم فقد تخلَّفنا في الجانب المادّيِّ تخلُّفًا كبيرًا، وأصبح غيرُ المسلمين يسبقون المسلمين في الجانب الماديّ.

ثم بعد ذلك، فإن أيامَ التشريق هذه أيامٌ فيها البراءة من الشيطان، ففي هذه الأيام تُرمى الجمرات في مِنى رمزًا إلى البراءة من الشيطان: { إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ } [فاطر: ٦].

في هذه الأيام يُعلن المؤمن أنه بريءٌ من منهج الشيطان، وأنه عبدٌ للرحمن، وأنه ممتثلٌ أمرَ الله تبارك وتعالى، ومهما حاول شياطين الإنس والجنِّ أن يصرفوا المسلم عن صراطه المستقيم، فإنه لا ينصرف أبدًا، لأنه مُنضبِط.

إنه منهج صراط واضح فيه البراءة من الشيطان.

إذًا، ففي أيام التشريق: ذِكرُ لله، وعنايةٌ بالجانب المادّيِّ، وبراءةٌ من الشيطان.

وفي أوسط أيام التشريق، أي في اليوم الثاني، أي في مثل هذا اليوم تمامًا، كانت أحداثٌ تاريخية كبيرة ينبغي ألا ننساها أبدًا، فقد بايع الأنصارُ سيدَنا محمدًا صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة الكبرى، فبايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سبعون من الأنصار، وهذا يعني أن هذا اليوم كان يُمثِّل بَدء الانتصار الإسلاميّ، حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يُعاني في مكة، وجاءت نصرة الله في مثل هذا اليوم، وبايع الأنصار في مثل هذا اليوم تمامًا بيعة العقبة الكبرى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم.

وفي مثل هذا اليوم أيضًا، في ثاني أيام التشريق، أرسل النبي صلى الله عليه وسلم سيدَنا عليًّا بعد فتح مكة من أجل أن يُعلن البراءة من الشِّرك، وقرأ كتابَ النبي صلى الله عليه وسلم في الحجّ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ.

وفي مثل هذا اليوم، في اليوم الثاني، كان أميرُ الحجِّ يومَها سيدنا أبا بكر رضي الله تعالى عنه، أما الناطق الرسميُّ باسم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فكان سيدَنا عليًّا، فقرأ في مثل هذا اليوم كتابَ البراءة، حتى لا يحجَّ بعد ذلك العام مُشرِك، ولا يطوف بالبيت عُريان.

وفي مثل هذا اليوم، أي في اليوم الثاني من أيام التشريق، أنزل الله على حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم: بسم الله الرحمن الرحيم، { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا } [النصر: ١-٣] وكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم وقتَها في حجّة الوداع، حيث نزلت في هذا اليوم هذه السورة، فعلِم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تبارك وتعالى يُشير إليه بأن الوداع قد دنا.

وفي مثل هذا اليوم، بعد أن أُنزلت هذه السورة، ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوسّط الحجيج، وخطب خطبة الوداع الشهيرة التي تتردد في الآفاق، والتي خاطب فيها الإنسانية كلَّها:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلا لا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ... إِلا بِالتَّقْوَى.. أَلا إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ...).

فالخطبة الشهيرة التي خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي معروفة باسم خطبة حجة الوداع، كانت في مثل هذا اليوم، وفيها كانت وصيةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم للبشرية إلى يوم القيامة، حتى ينتفي البغي والعدوان، وينتفي تسلّط الإنسان على الإنسان، وتنتفي الطبقية، وينتفي التمييز العِرقيّ، وحتى يحمل المسلم الأمانة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه قال في آخر الخطبة: **(أَلا فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ)**، ثم قال: **(أَلا هَلْ بَلَّغْتُ؟)**، قالوا: نعم، قال: **(اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ)**.

إذًا، فنحن في أيامٍ جليلة عظيمة، وفي يومٍ عظيم جليل، هو من أَجَلِّ أيام تاريخنا، ولا يمكن لنا أن نرتبط بهذا اليوم ارتباطًا حقيقيًّا حتى نتمثّل معانيه، وحتى نعيش حاله، ونعيش تطبيقه، وحتى نعود إلى الإسلام، لا من خلال الانتماء بالهوية، أو الهويّة من حيث الظاهر، لكن لنعود إلى الإسلام تفاعلاً، ولنعود إلى الإسلام فهمًا، ولنعود إلى الإسلام لا من خلال العبادة فقط، إنما مع المعاملة ومع السلوك.

أين صورة المؤمن؟

أين صورة المسلم، التي يخجل ضوءُ الشمس من نورها؟

أين هي اليوم؟

إننا بحاجة إلى الشاب المسلم الذي يتألّق بمعاني الإسلام.

لا نحتاج إلى صورة المسلم، لكننا نحتاج إلى حقيقة المسلم.

نحتاج إلى الشاب المُتعلِّم لا إلى الجاهل.

نحتاج إلى المسلم الذي يحمل الأخلاق، لا إلى الذي يبتعد عن الأخلاق.

نحتاج إلى المسلم الذي يُمثّل في سلوكه الأمانة والاستقامة والصدق، لا إلى من يسلك سبيل الخداع والاحتيال.

الارتباط بالإسلام ارتباطٌ تفاعليٌّ، نحتاج إليه لنُعيد الحضارة، فالعالم اليومَ يعيش التخبُّط، ويعيش ظُلمانية، ويعيش في ظلمات الظلم...

فمن الذي يُنقذه؟

سينقذه مَنْ سمع خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم، فحمل الأمانة، وحين حمل الأمانة نشر مضمون هذه الأمانة.

رُدَّنا اللهم إلى دينك ردًّا جميلاً، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول وأستغفر الله.